من تراث

الإمام أبي حفص عمر السهروردي

الرسالة السادسة

رسالة السهروردي

إلى العارف بالله تعالى علي الموقاني في الوعظ

مقدمة

هٰذه الرِّسالةُ عبارةٌ عن وصيَّةٍ مُوجَزةٍ جامعةٍ ، توجَّهَ بها الشيخُ السُّهروردِيُّ إلىٰ تلميذِه صفيِّ الدِّينِ عليِّ بنِ الرَّشيدِ إسماعيلَ الموقانيِّ[1] ، بعد أن لازَمَ السُّهروردِيَّ مُدَّةً طويلةً وتَخرَّجَ علىٰ يَدَيهِ ، حتَّىٰ لَبِسَ منهُ خِرقةَ التَّصوُّفِ .

رَغِبَ التِّلميذُ في الانصرافِ إلىٰ وطنِهِ ، فاستأذَنَ في الرُّجوعِ إلىٰ أهلِهِ لِيَقضيَ حقَّ والديهِ ، فأَذِنَ لهُ الشَّيخُ السُّهروردِيُّ ، ووجَّهَ إليهِ بهٰذه النَّصيحةِ الرَّقيقةِ الَّتي تَفيضُ بشفقةِ الأُبُوَّةِ الحانيةِ ، ورحمةِ المُعلِّمِ الوافرةِ .

تدورُ الوصيَّةُ حولَ ما يَنبغي أنْ يكونَ عليهِ بعدَ رجوعِهِ إلىٰ أهلِهِ ، وتَتلَخَّصُ في أنْ يَهتَمَّ بأمرِ آخرتِهِ ، ويَغتنِمَ أوقاتَ عُمُرِهِ بشَغلِها بطاعةِ اللهِ تعالىٰ ، وألَّا يَركَنَ إلىٰ مُخالطةِ الخَلقِ ، وأن يُقبِلَ علىٰ شأنِهِ ، ولا يَنشَغِلَ بالنَّاسِ ، وأنْ يَدفَعَ عن نفسِهِ شَرَهَ الطَّعامِ والشَّرابِ ، وأنْ يَجتنِبَ كثرةَ اللَّعِبِ والضَّحِكِ ، وأنْ يَتأنَّىٰ في أُمورِهِ ويَصبِرَ علىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ .

وإذا قُدِّرَ لهُ أنْ يكونَ في صُحبةِ الخَلقِ . . فَليَسأَلِ اللهَ الحِفظَ مِنَ الفِتنةِ ، وَليُكثِرْ مِنَ الصَّلاةِ والصِّيامِ والخَلوةِ والعُزلةِ .

وأنَّهُ إذا رَأَىٰ آثارَ هٰذه الآدابِ في نَفسِهِ . . فإنَّهُ يصيرُ مأذوناً لهُ في أَخذِ شرائطِ التَّوبةِ على التَّائبينَ الصَّادقينَ ، فإذا بَلَغَ الأربعينَ . . صارَ مأذوناً لهُ في أن يُلبِسَ الخِرقةَ لمَن طَلَبَها وكانَ أَهلاً لها[2] .

---

(١) المُوقانيُّ : بضمِّ الميمِ ، وسُكونِ الواوِ ، في آخرها نونٌ ؛ نسبةً إلىٰ (موقان) مدينة بـ (دربند) . ينظر « معجم البلدان » (٥/٢٢٥) ، و« الجواهر المضية في طبقات الحنفية » (٢/٣٤٩) .

(٢) ينظر « أبو حفص عمر السُّهروردِيُّ ؛ حياتُه وتصوُّفُه » (ص ٧٢) .

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

ـ نسخةٌ كُتبَت في القرنِ الثَّامنِ الهجريّ ضِمنَ مجموعةٍ تحت عُنوانِ « أسئلةٌ سُئِلَ عنها السُّهرَوَرْدِيُّ شِهابُ الدِّينِ وأجوبتُه عليها وجُمَلٌ مِن كلامِه ووصاياه » ، (تصوُّف ٢٩) معهدُ إحياءِ المخطوطاتِ العربيَّةِ بالقاهرةِ مِن الورقةِ (١٧٨ ب) إلى الورقة (١٧٩ب) .

ورمزنا لها بـ : (أ) .

ـ ونسخةٌ مستقلَّةٌ بعنوانِ : « رسالةُ شهابِ السُّهرَوَرْدِيِّ الَّتي كتَبها إلى العارفِ باللهِ تعالىٰ عليٍّ الموقانيِّ في الوعظِ » ، الأوراق (٢٤ ـ ٢٦) في المجموعةِ رقم (٢/١٠٢٣ تصوُّف طلعت) بدارِ الكتبِ المصريَّةِ .

ورمزنا لها بـ : (ب) .

وبالإضافةِ إلىٰ مُصوَّرةِ معهدِ المخطوطاتِ العربيَّةِ برقم (٢٩ تصوُّف) مِن مخطوطةِ مكتبةِ أمانة في تركيا المعتمَدةِ في التَّحقيقِ ، توجدُ نسخةٌ أخرىٰ للرِّسالةِ محفوظةٌ في مكتبةِ جامعةِ توبنغن برقم (١٤/٨٩) ، الورقة (١١٦) .

نماذج من صور المخطوط

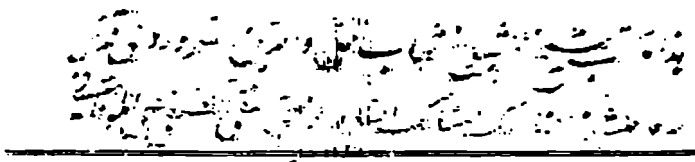

بسم الله الرحمن الرحيم

قال البست الولد الصالح علي أحسن الله عاقبته واحكم رابطته ومد طالت صحبته ولم يقاضه بالمفارقة الا قضاء حق الوالدين فاذنت له في الرجوع الى وطنه بقضي حق والديه وارجو من الله الكريم ان يثبتني واياه بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويحرسنا من الشيطان وجنوده ونسويلات النفس الامارة بالسوء وحبب له ان يرجع الى وطنه ان يقبل على حفظ الاوقات وترك البطالة ويغتنم العزلة والوحدة ويجتهد ان لا يجعل لنفسه في الدنيا شغلا ولا يهتم لفوت غد ويحقق ان الهم بالعلوم عقوبة قلة الهم بالعبادة ورعاية آداب الوقت ولا يركن الى مخالطة الخلق ظنا منه ان بدا من سعة الاخلاق والمدارات ولا يتعب الى استجلاب قلوب الناس اليه واذا كان في ناحية شخص يشار اليه بالمشيخة او اطعام الطعام وله

نسخة دار الكتب المصرية (ب)

رسالة السهروردي

إلى العارف بالله تعالى علي الموقاني في الوعظ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قالَ : ألبستُ الولدَ الصَّالِحَ صَفِيَّ الدِّينِ عليَّ ابنَ الرَّشيدِ إسماعيلَ خِرقةَ المشايخِ الصُّوفيَّةِ أحسنَ اللهُ عاقِبتَهُ وأحكمَ[1] رابِطتَهُ ، وقدْ طالَتْ صُحبتُهُ ولمْ يتقاضَهُ بالمفارَقةِ إلَّا قضاءُ حقِّ الوالدَينِ ؛ فأذِنتُ لهُ في الرُّجوعِ إلىٰ وطَنِهِ ليَقضِيَ حقَّ والدَيهِ .

وأرجُو مِنَ اللهِ الكريمِ أنْ يُثبِّتَني وإيَّاهُ بالقَولِ الثَّابتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ ، ويَحرُسَنا مِنَ الشَّيطانِ وجُنودِهِ ، وتَسويلاتِ النَّفسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ .

فأذنتُ لهُ أنْ يرجعَ إلىٰ وَطنِهِ ، وأنْ يُقبِلَ علىٰ حفظِ الأوقاتِ ، وتركِ البَطالَةِ ، ويغتَنِمَ العُزلةَ والوَحدَةَ ، ويجتهدَ ألَّا يجعلَ لنفسِهِ في الدُّنيا شُغْلاً ، ولا يهتَمَّ بِقُوتِ غَدٍ .

ويتَحقَّقَ أنَّ الهمَّ بالعُلومِ عقوبةُ قِلَّةِ الهمِّ بالعبادةِ ، ورِعايةِ آدابِ الوقتِ .

ولا يَركنَ إلىٰ مُخالَطةِ الخَلقِ ظنّاً منهُ أنَّ هٰذا مِنْ سَعَةِ الأخلاقِ والمُداراةِ ، ولا يَتَسبَّبَ إلى استِجلابِ قُلوبِ النَّاسِ إليهِ .

وإذا كانَ في ناحيَتِهِ شخصٌ يُشارُ إليهِ بالمشيخةِ ، أو إطعامِ الطَّعامِ ، ولهُ عندَ الخَلقِ قَبولٌ . . لا تَتَقاضُه نفسُهُ أنْ يكونَ مِثلَهُ .

ويترُكَ الدُّنيا علىٰ أربابِها ، والجاهَ علىٰ أربابِه ، ويجتهدَ في دَفعِ آفةِ شَرَهِ الطَّعامِ والشَّهَواتِ عنِ النَّفسِ ؛ فكم مِنْ شَرِهٍ غلبَتْهُ نفسُهُ ومَوَّهَتْ عليهِ ، وأدخلَتْهُ في المداخلِ المكروهَةِ المذمُومَةِ ؛ حتَّىٰ تبلُغَ شَهَواتِها ، وجذَبَتهُ إلىٰ مُخالَطةِ أبناءِ الدُّنيا[2] ، فكانَ ذٰلكَ سَببَ هلاكِهِ بِمَيلِه إلى الدُّنيا .

---

(١) في (أ) : (وقد تأكَّدت) بدل (وأحكمَ) .

(٢) قولُه : « وجذَبته إلىٰ مُخالطَةِ أبناءِ الدُّنيا » ساقطٌ مِن « أ » .

ويَجتَنِبَ كثرةَ المُلاعَبةِ والضَّحِكِ والتَّقرُّبِ إلىٰ مَن لا يَتيَقَّنُ فيهِ التَّقوىٰ والزُّهدَ .

ويَجتَنِبَ الإستِعجالَ في الأُمورِ ، والقَناعَةَ بمُجَرَّدِ نِيَّةٍ تَحضُرُهُ ؛ حتَّىٰ يخلصَ النِّيَّةَ مِنْ شَوائِبِ النَّفسِ في الأُمورِ بعد حُسنِ النِّيَّةِ ؛ حتَّىٰ يَنكشِفَ وجهُ الصَّوابِ أتَمَّ وأفضلَ إنْ أَهَّلَهُ اللهُ تعالىٰ لذٰلكَ ؛ لأنَّ دخولَهُ في الأشياءِ باللهِ أكمَلُ مِن دُخولِهِ فيها للهِ ؛ إذِ الأوَّلُ للمُريدِينَ ، والثَّاني للأبرارِ .

فإذا عاملَ اللهَ تعالىٰ بهٰذِهِ المُعامَلةِ بالصَّبرِ وبَذلِ المَجهُودِ ؛ فإنْ كانَ مُراداً بالوَحدَةِ إلىٰ آخِرِ العُمُرِ . . فليغتَنِم أوقاتَهُ وساعاتِهِ ، ويَعلَمَ أنَّ اختِيَارَ اللهِ تعالىٰ خيرٌ مِن اختيارِهِ لنفسِهِ ، ومَنْ وَجَدَ الحقَّ . . ما ضَيَّعَ شيئاً ، ولا فاتَه شيءٌ ، ومَنْ فاتَهُ الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ . . فما وَجَدَ شيئاً ، فلا يَتَأسَّفْ علىٰ ما فاتَه مِن حُظوظِ الدُّنيا وقَبُولِ الخَلقِ والجاهِ ، فليَشكُرِ اللهَ تعالَىٰ حيثُ وَفَّرَ عليهِ أوقاتَهُ ولمْ يَشغَلْهُ بغيرِهِ .

وإنْ كانَ مُراداً بِصُحبَتِهِ الخَلقُ . . فالحقُّ تعالىٰ يجعلُ لهُ في قلوبِ المؤمنينَ وُدّاً ؛ فيُطلَبُ ولا يَطلُبُ ، ويُقصَدُ ولا يَقصِدُ ، ويُزارُ ويُتبرَّكُ بهِ ، وهو يَرَىٰ ذٰلكَ مِنْ فضلِ اللهِ تعالىٰ .

ويسألَ اللهَ الحِفظَ مِنَ الفِتنَةِ ، وأنْ يَحمِلَهُ ذٰلكَ علىٰ خَفِيٍّ مِنَ التَّصَنُّعِ والتَّجَمُّلِ للخَلقِ ، وعندَ ذٰلكَ يُكثِرُ منَ الصَّلاةِ والصِّيامِ والخَلْوةِ والعُزلَةِ ؛ لِيَكتسِبَ مِنْ فضلِ اللهِ ما يُنفِقُ علىٰ مَنْ يَقصِدُهُ ويَطلبُهُ ويَزورُهُ .

وإيَّاهُ ثمَّ إيَّاهُ أنْ يُحَدِّثَ نفسَهُ بهٰذا ؛ حتَّىٰ يُعطِيَهُ اللهُ تعالَىٰ مِن غَيرِ سابقةِ حديثِ النَّفسِ ، فإذا رأىٰ آثارَ ذٰلكَ ، وقصدَهُ مَنْ يَصحَبُهُ للهِ . . أذِنتُ له أن يُتَوِّبَ[1] ويأخُذَ شَرائِطَ التَّوبةِ على التَّائبِ الصَّادقِ .

---

(١) يمكن قراءتها : (يثوب) .

فإذا بلَغَ أربعينَ سنةً على الَّذي وصَفتُه مِنَ الصُّحبَةِ معَ اللهِ . . أَذِنتُ لهُ أنْ يُلبِسَ الخِرقةَ لمَنْ طَلبَها ورآهُ أهلاً لذلكَ ، واللهُ المأمولُ في التَّوفيقِ لهُ ولنَا[1] .

(١) إلى هنا مُنتَهى وَصِيَّةِ المصنِّفِ رحمه اللهُ تعالى لمريدِه عليٍّ الموقانيِّ في النُّسختَينِ (أ ، ب) . ثمَّ يَشرَعُ في وصِيَّةٍ أخرَى لا ندري مَن يَعنِي بها ، أو لعلَّها تكونُ مِن عُمومِ وصاياه رحمَه اللهُ تعالَى ؛ للسَّالكِ المريدِ طريقَ القَومِ ورُسومَهم ، ضَمَّنها النَّاسِخُ هذه الوَصِيَّة .

وقالَ في بعضِ وصاياهُ قدَّسَ اللهُ سِرَّهُ العَزِيزَ :

أيُّها الطَّالِبُ السَّالِكُ إلىٰ طريقِ اللهِ تعالى ، المُجِدُّ في الطَّلَبِ ؛ أذكُرُ لكَ الحقَّ الواضِحَ الَّذي أتمنَّاه لنَفسِي وأتَشَوَّفُ إليه :

اجعَلْ وقتَكَ كُلَّه جِدّاً لا هَزلَ فيهِ ، وحقّاً لا باطلَ فيهِ ، واقنَعْ مِنَ الدُّنيا بِلُقَيماتٍ يُقِمنَ صُلبَكَ ، وذاكَ قَدْرُ الضَّرُورَةِ ، فإنْ زِدتَ علىٰ قَدْرِ الضَّرُورَةِ أو تناولْتَ شهوةً . . فطالِبْ نفسَكَ بعَمَلٍ زائدٍ علىٰ وِردِكَ ، ثُمَّ تَناوَلْ ذٰلكَ ، وإنْ تركتَه . . فهو الأَحَبُّ الأَولَىٰ .

ودَعِ الخَلقَ جانباً ، لا تَعرِفْهُم إلَّا في جَلْوَةِ الجماعةِ والجُمُعةِ ، والزَمْ زاويتَكَ ، ومهما قَدرتَ ألَّا تَنظُرَ إلى الخَلقِ . . فافعَل ؛ فإنْ نظرتَ إليهم . . فلا تُكلِّمْهُم إلَّا في السَّلامِ والجوابِ ، وجوابُ متكلِّمٍ إنْ كلَّمك بقدْرِ الحاجةِ ، ولا تَزِد علىٰ قَدْرِ الحاجةِ لفظةً واحدةً .

وإذا طَرَقَتكَ السَّآمةُ في زاويتِكَ . . فاخرُجْ إلىٰ بعضِ الصَّحارَىٰ والمقابرِ ، أو تَردَّدْ بقُربِ زاويتِكَ ؛ ذاكراً للهِ تعالىٰ في تَردُّدِك ، أو تالِياً لكلامِ اللهِ تعالَىٰ ، ودَعِ التَّفكُّرَ في العُلومِ ، واستَبدِلْ بذِكرِ اللهِ وكلامِهِ عن كلِّ شيءٍ .

ومَهما طَرقَتْكَ سآمةٌ مِنَ الصَّلاةِ والتِّلاوةِ . . عُد إلىٰ ذِكرِ اللهِ تعالىٰ ، واجتَهِدْ في خُلُوِّ قلبِكَ عن كلِّ شيءٍ سِوى اللهِ تعالىٰ ، واحرِقْ حديثَ النَّفسِ بدوامِ ذِكرِ القَلبِ .

ودَعْ عنكَ الفِكرَ فيما كانَ وما يكونُ ، وأكثِرِ الضَّراعةَ إلى اللهِ تعالىٰ في أنْ يَرزُقَكَ عِلماً بِصِفاتِ نفسِكَ وأخلاقِها .

واجتَهِدْ أنْ تكونَ مُعتدِلاً بينَ الإفراطِ والتَّفريطِ .

ومَهما وجدتَ قَبضاً . . فَفتِّش ما سببُهُ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يُعرِّفُكَ سَبَبَ قَبضِكَ ، ويُعرِّفُك طريقَ الإزالةِ والعَودِ إلىٰ أوطانِ الأُنسِ والبَسطِ .

واجعَلْ تَناوُلَكَ الطَّعامَ مُقتَرِناً بالنَّظَرِ ، واغسِلْ يدكَ قبلَ الطَّعامِ وبعدَهُ .

ومَهما تحقَّقتَ بالزُّهدِ في الدُّنيا ، وقَصُرَ أمَلُكَ بكثرةِ ذِكرِ الموتِ . . قَلَّت وَسوَستُكَ وحديثُ النَّفسِ .

وكُنْ حاضراً في رُكوعِكَ وسُجودِكَ ، واطلُبِ الرَّوحَ والأُنسَ في الرُّكوعِ والسُّجودِ ، وكُنْ في قَيدِ تَكميلِ الصَّلاةِ بالحُضورِ والخُشوعِ ، لا في قَيدِ الإكثارِ مِنَ العَددِ .

فاسمَع وَصِيَّتِي ، واقبَلْ نصيحَتِي مِنِّي .

والحمد لله رب العالمين

تم